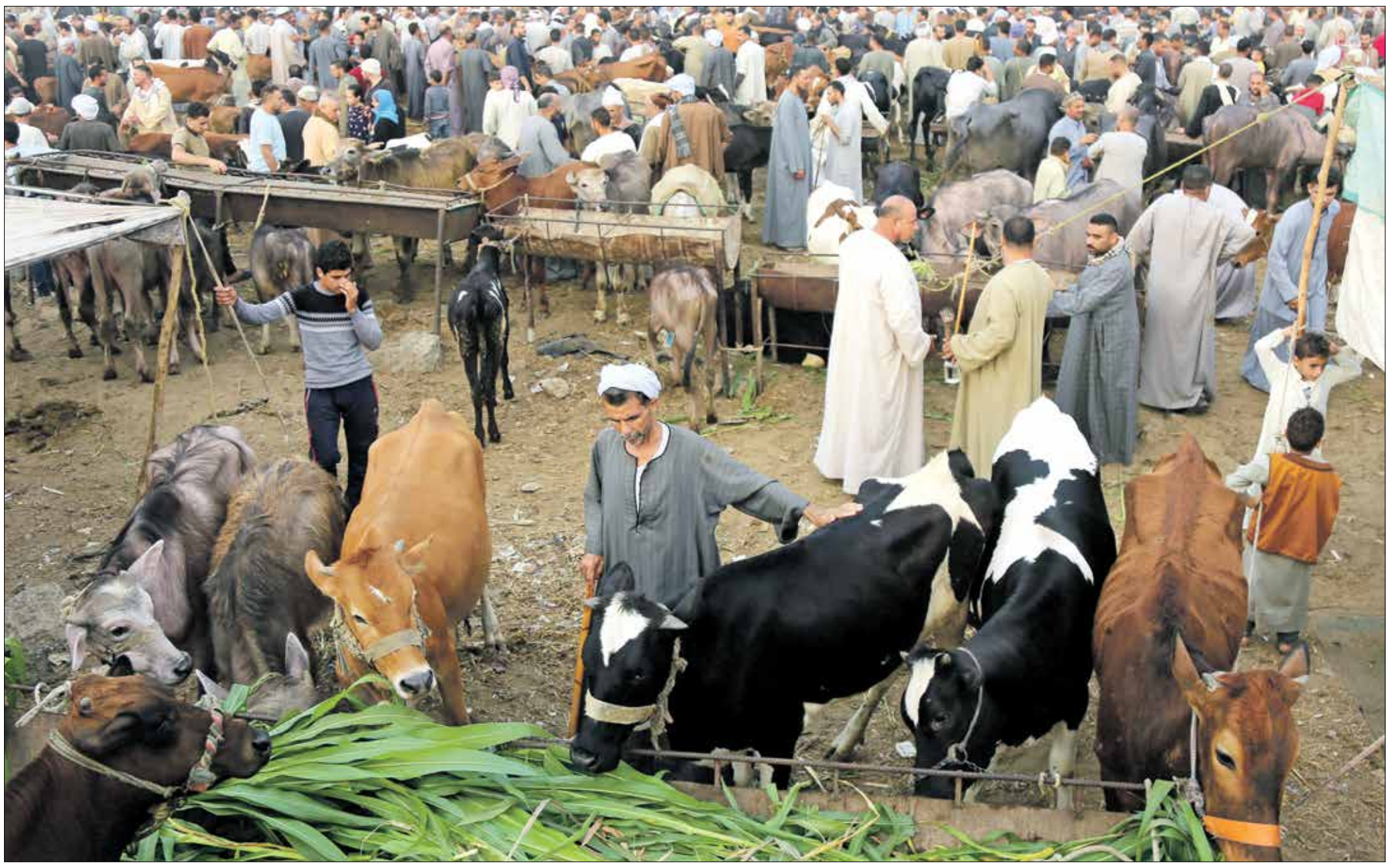

خسائر ضخمة للمربين بسبب إخفافات الجهات الحكومية (فضل داود/Getty)

تكبد مربو الماشية المصريون خسائر مالية ضخمة جراء مشاركتهم في مبادرة حكومية لإحلال سلالات أوروبية المنشأ بدل المحلية، غير أنّ الأبقار المستوردة كلفتهم أموالاً باهظة وسرعان ما نفقت ومعها أحلامهم بمكاسب ضخمة

ثمن الإخفاق الحكومي

انتكاس سلالات الماشية الأوروبية في البيئة المصرية

القاهرة ـ **سهام حسن**

نفقت 13 بقرة من سلالتي سيمنتال وبراون سويس ذات المنشأ السويسري في مزرعة المهندس الزراعي شريف عبد الوهاب بمحافظة البحيرة شمالي مصر، ما أسفر عن خسارة مالية كبيرة، إذ اشتراها عبر قرض حصل عليه من البنك الأهلي المصري (حكومي)، ضمن مبادرة أطلقتها وزارة الزراعة واستصلاح الأراضي لتحسين قطعان الماشية، عبر استيرادها بواسطة شركات متخصصة وبيعها للمربين من أجل النهوض بالثروة الحيوانية وتفعيلاً لعودة القرى المنتجة، وهو ما يدخل ضمن مشروع اقترحه الرئيس عبد الفتاح السيسي وأكد عليه في أكثر من مناسبة عامة، أحدثها خلال افتتاحه مشروع مستقبل مصر في مايو/أيار 2022.

وعلى الرغم من تفاؤل عبد الوهاب وتوقعاته «الحالمة»، كما يصفها، بمضاعفة أرباحه، فإنّ أول بقرة نفقت بعد 35 يوماً من تسلمها عبر مزرعة الشركة المستوردة في الرابع من يونيو/حزيران 2022، ثم توالى نفوقها، ما دفعه إلى إجراء تحاليل مخبرية لستّ عينات في مركز التحاليل والدراسات التطبيقية البيطرية بجامعة القاهرة بتاريخ 22 سبتمبر/أيلول 2022، ليتبين إصابتها بفيروس الهربس البقري من النوع الأول (Bovine herpes virus 1-BHV-1) (يسبب العديد من الالتهابات للماشية)، بحسب ما كشفته نتائج الفحص الذي حصلت عليه «العربي الجديد».

وتسبب المرض في نفوق الأبقار بعد إسهال وتقرحات وإفرازات مخاطية من الأنف والتهابات رئوية، ونفوق العجول حديثة الولادة في أسبوعها الأول، بحسب ما جاء في تقرير فريق المتخصصين من معهد بحوث التناسليات الحيوانية (حكومي) بتاريخ 23 أكتوبر/تشرين الأول 2022، والذي فحص مزرعة عبد الوهاب وأربعة مستفيدين آخرين من المبادرة بعد شكوى تقدموا بها بسبب ظهور المرض بين أبقارهم وفتكه بها، إلى جانب شحّ ما يحصلون عليه من حليب. وبحسب شريف، فإنّ 18 مربياً آخرين يعرفهم ظهرت أعراض مرضية مشابهة على الأبقار المستوردة التي تسلموها ضمن المبادرة، وبالتالي نفقت مع تكبدهم خسائر باهظة.

خسائر ضخمة للمربين

تتشابه تفاصيل خسارة عبد الوهاب مع ما تعرض له الثلاثيني موسى عيد، الذي خسر 15 بقرة من أصل 140 من سلالة هولشتاين (موطنها شمال غربي ألمانيا) رغم أنه، وبحسب وصفه، ورث مهنة تربية الماشية «أباً عن جد»، قائلا لـ«العربي الجديد»: «تسلمت الأبقار في 15 ديسمبر/كانون الأول 2022 من مزرعة الشركة المستوردة، ونفقت أول واحدة عقب 20 يوماً، بعد إصابتها بمرض حمى الثلاثة أيام (فيروسي حاد)، علاوة على إصابة الأبقار المولودة بعد أربعة أشهر من تسلم أمهاتها بمشاكل تنفسية، كما أصيبت 8 بقرات بتليف الضرع».

ويقدر عيد خسارته بمليون و950 ألف جنيه، تشمل ثمن الأبقار البالغ 60 ألف جنيه للواحدة (الدولار وقتها احتسب بـ24,40 جنيهاً)، وكذلك قيمة معدات للمزرعة، فضلاً عن أدوية كلفته 300 ألف جنيه (يتغير ثمن الجنيه مقابل الدولار على فترات متقاربة)، وهي مبالغ اقترضها من البنك الزراعي المصري، وما يزيد الطين بلة أن العقد الموقع بين المربين والشركة المستوردة لم يتضمن أي بنود تضمن لهم تعويضا، بحسب ما يؤكده عيد والمهندس عبد الوهاب.

لكن خسارة الأربعيني المقيم في محافظة بني سويف في صعيد مصر أحمد عوض أفدح، إذ فُجع بنفوق 80 بقرة من أصل 100 من سلالة هولشتاين بعد ثلاثة أشهر من تسلمها من الشركة المستوردة، وبدأ الأمر بتكرار حالات الإجهاض أو ولادة أجنة مشوهة وميتة، فضلا عن تكرار إصابات التورم وعرج القدمين وتليف الضرع وتناقص إنتاج الألبان تدريجيا وحتى توقفها تماما، ما استدعى تدخل لجنة من معهد بحوث الصحة الحيوانية في القاهرة وإجراء مسح شامل للمزرعة على مدار ثلاثة أيام، وعلى أثره، اكتشفت إصابة الأبقار ببكتيريا الميكوبلازما التي تؤدي إلى تكسير كريات الدم الحمراء وتتطور إلى أنيميا مميتة، وهو ما أثار مخاوف ودهشة عوض لأن هذا المرض لم يرصده في مزرعته قبل قدوم الأبقار المستوردة.

إدراج شركات لا تمتلك خبرة سابقة في مبادرة استيراد الأبقار الأوروبية

تتمتع الأبقار المحلية بجينات مقاومة للمرض لا تتوفر في المستوردة

لماذا فشل حلم مضاعفة الإنتاج؟

يُجمع سبعة من المربين وأصحاب المزارع الذين خاضوا تجربة شراء الأبقار المستوردة، والتقتهم «العربي الجديد»، على أن هدفهم كان مضاعفة إنتاجهم، إذ تحدثت الدعاية الحكومية على أن الإنتاج اليومي للبقرة المستوردة من سلالة هولشتاين على سبيل المثال يترواح من 30 إلى 40 ليتراً، بينما لا يتخطى إنتاج البقرة المحلية عشرة ليترات يومياً، لكن مربي الماشية وجدوا، بعد التجربة، أن مضاعفة الإنتاج يترتب عليه استهلاك كميات أكبر من العلف تصل إلى 15 كيلوغراماً يومياً، مقابل خمسة كيلوغرامات تستهلكها السلالة المحلية، في وقت كان سعر طن العلف فيه بين 14 و20 ألف جنيه (سعر الجنيه مقابل الدولار تغير مرات عدة) حسب النوع، وهو ما يعني تكاليف أكبر. علاوة على ذلك، فإن الأبقار المستوردة عرضة للإصابة بالأمراض التي تؤدي إلى نفوقها بشكل أكبر مقارنة بالسلالة المحلية، وعلى رأسها الميكوبلازما وفيروس الهربس البقري، وهو ما يرجعه الطبيب البيطري محمد جلال، مدير معهد بحوث الصحة الحيوانية الأسبق (يتبع وزارة الزراعة)، إلى ضعف مناعة الأبقار المستوردة والعوامل البيئية التي تؤثر عليها، إذ تتمتع الرؤوس المحلية بجينات مقاومة للأمراض ولا تتوفر لمثيلتها المستوردة والتي قد تنقل العدوى إلى الأبقار غير المصابة. وهو ما تثبته دراسة أجراها المعهد بعنوان مدى وجود الميكوبلازما في حالات التهاب الضرع في الأبقار والجاموس في مصر، ونشرت عام 1991، شملت العينة سبعة قطعان من البقر الفريزيان الحلاب (هولشتاين) و301 جاموسة، وكانت نسبة انتشار الميكوبلازما في أبقار الفريزيان 17,75%، بينما بلغت 3,04% في الجاموس البلدي.

ما سبق يؤكده المختص وليد أبو العمايم، الذي يعمل طبيبا في مديرية حكومية بيطرية (فضل عدم ذكرها حتى يتمكن من الإدلاء بمشاهداته)، موضحا لـ«العربي الجديد» أنه رصد في زيارات ميدانية إلى مزارع الماشية أن الأبقار المستوردة تعجز عن مواجهة أمراض متوطنة تصيب الماشية في مصر مثل طفيليات الدم والحمى القلاعية والدودة الكبدية، كما أن وسيلة نقل الأبقار ذاتها إلى مصر تعد عاملا مساعدا في نقل أمراض تؤثر على إنتاجها. إضافة إلى ذلك، فإن الأبقار المستوردة تتأثر بالمناخ المختلف عن بلدانها الأصلية، مبيناً أنها «لا تتأقلم بسهولة في مصر، ومن أهم العوامل التي تؤثر عليها درجات الحرارة المرتفعة ومعدلات الرطوبة ونوع التربة».

الأبقار المستوردة تسهم في تزايد بؤر الأمراض

أوصى تقرير معهد بحوث التناسليات، عقب الكشف على مزرعة شريف عبد الوهاب و4 مزارع أخرى، بأخذ عينات دم لتحليل مرض البروسيلات (عدوى بكتيرية) والإسهال البقري الفيروسي ومرض الهربس البقري والميكوبلازما، بعد ملاحظة أعراض على الأبقار المستوردة المتبقية لديهم إلى جانب انخفاض إدرارها من الحليب بمقدار 4 إلى 5 ليترات يوميا، مشددا على ضرورة التخلص منها تجنبا لنقل العدوى إلى الأبقار الأخرى السليمة في المزرعة.

ولا يستبعد الطبيب البيطري وأستاذ الأمراض المعدية بكلية الطب البيطري في جامعة القاهرة والمدير الفني لشركة زويتس للأدوية البيطرية سليمان محمد سليمان أن تكون هذه الأمراض الفيروسية قد نقلتها الأبقار المستوردة من الخارج. ويتفق البيطري جلال مع الرأي السابق، مشيرا إلى دور الأبقار المستوردة في زيادة الأمراض الحيوانية بمصر، إذ لاحظ تزايدا في أعداد بؤر الحمى القلاعية عاما تلو الآخر بسبب دخول 3 عترات (أنواع مرضية) جديدة إلى مصر، منها SAT 2 التي سجلت لأول مرة في عام 2012، نتيجة تهريب الحيوانات عبر الحدود الغربية عقب أحداث ثورة 25 يناير، لذلك تحتاج اللقاحات المستخدمة إلى تحديث مستمر بما يتناسب مع التغير الجيني للفيروسات». وهذا التزايد في بؤر الأمراض تثبته بيانات النشرة السنوية لإحصاءات أمراض الحيوان والدواجن لعام 2021 الصادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، مؤكدة أن عدد بؤر الإصابة بالأمراض المعدية والوبائية للماشية والحيوانات كان 32 بؤرة عام 2020 وارتفع إلى 54 بؤرة عام 2021. وهو ما لاحظه مربو الماشية والأطباء البيطريون الذين قابلتهم معدة التحقيق، مؤكدين أن دخول أمراض جديدة إلى المزارع اقترن بوصول الأبقار المستوردة التي كانت مصابة بأمراض معدية انتقلت إلى غيرها.

تراخٍ رقابي

يرجّع ثابت البقري، مالك شركة ماس للتجارة والاستثمار الحيواني المدرجة ضمن قائمة الشركات العشر المعتمدة لاستيراد السلالات ثنائية الغرض، الإخفاق في تحقيق الأهداف المرجوة من استيراد الأبقار إلى عدم مراقبة الوزارة تنفيذ المشروع والبيع لصغار المربين الذين لا يمتلكون الخبرة في التعامل معها، فضلاً عن إدراج شركات لا تمتلك خبرة سابقة ضمن المصرح لهم بالاستيراد.

ويكشف اثنان من أصحاب شركات الاستثمار الحيواني لـ«العربي الجديد»، فضلوا عدم ذكر أسمائهم حتى لا تتضرر مصالحهم، «أن الشركات والهيئة العامة للخدمات البيطرية لم تحصن المواشي ضد الأمراض التي يوثق التحقيق ظهورها في الأبقار المستوردة». وهو ما يتطابق مع ثلاثة تقارير لإفراج عن «عجلات» (أبقار) من محاجر بيطرية تتبع الهيئة حصلت عليها «العربي الجديد»، وتبين جميعها أنه تم تحصين الحيوانات بلقاح الحمى القلاعية وحمى الوادي المتصدع والتسمم الدموي، ولقاح الجلد العقدي، فيما أجريت لها فحوص للكشف عن الأمراض الفيروسية كالبروسيلات، والليكوزيس واللسان الأزرق، والسل البقري، بينما لم تحصن ضد الأمراض التي ثبتت إصابة الأبقار الواصلة إلى مصر بها.